إلى الأستاذ البرازي

حول الفقه الاسلامي
والفقه الرومانى
للأستاذ صالح بن على الحامد العلوى

قرأت ما سطره قلمكم أيها الأستاذ الفاضل فى العدد ١٠٨ من الرسالة الغراء رداً علىّ وعلى الأستاذ على الطنطاوى وما كدت أوغل فى أسطره حتى أرسلت زفرة حارة تتخللها آهة من أعماق صدرى لا لأنك خالفتني فى رأيي أو لأنك أتيت لتدافع عن الفقه الرومانى أو غيره . ولكن لتلك الروح التى تبدو من خلال سطوره ، روح الافتتان بأوروبا وما تقوله أوروبا والاستماتة فى سبيل الدفاع عنها والفناء فيها وعدم الاستقلال أمام ما تمليه من الآراء والتقريرات ، ثم الوقوف مع الاسلام بروح ميتة تزعمونها روح العدل وإنصاف البحث العلمى كما سماها لكم الشيوخ المحنكون ، والحقيقة غير ذلك . ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد فقط ولكنه تعدى إلى الأزراء بالعصبية الدينية واستهجان العاطفة القومية ودعوة الشباب المسلم إلى هذا التقليد الأعمى الذى تسمونه الانصاف لأوروبا ، وإلى الاقتداء بأئمة أوروبا الأبرار الذين لا ينطقون عندكم عن الهوى بل عن علم وبحث وانصاف . هذه النزعة الغالية جعلتني أرسل الآهة تلو الآهة على الشباب المسلم المتعلم منا معاشر العرب ممن يفدون على أوروبا القوية المادية بقلوب فارغة وطباع فطيرة غير مجهزين من سلاح الاسلام إلا بوراثة اسمه ، يأتون ليكرعوا من غمار موارد أوروبا ويتشبعوا من علومها وثقافتها . فتتفحمهم من فتونها وحبها وتملأ صدورهم الفارغة مما تشاء هى لا ما يشاء الآباء . فيعودون وقد تشبعوا بثقافة أوروبا وأخلاق أوروبا والتعصب لأوروبا أيضاً . وقد يكونون مزودين من كل شيء إلا من تعاليم الاسلام والحماس للاسلام ، وماذا يصنعون أمام أوروبا وقد أتاهم هواها قبل أن يعرفوا الهوى ؟ إن أمثال هؤلاء لا يعدّون عندى إلا جراثيم لأنهم تتكرر بتكرر أنفاسهم

ووالله إننا لا ننكره ذات أوروبا ولا علوم أوروبا ولا ثقافة أوروبا ولكنا ننكره هذه النزعة الغالية ، وهذه الثقافة البيضاوية الصورية التى يتمشدق بها بعض الشبان المتطرفين . أما علومها وأما ثقافتها الجدية وصناعاتها النافعة فاننا فى مقدمة من يحبذها ويدعو اليها ولكن بعد غرس العصبية الدينية والعاطفة القومية فى نفوس الناشئة حذراً من هذا الفناء وهذا الاندغام المشين

ولست أدعى انطباق كل ما قلت عليك يا حضرة مناظرى الأديب ! كلا ! ولكنى أقوله بمناسبة ما رأيته ملموساً فى مقالك من نزعة الافتتان بأوروبا وتقليدها ودفاعك عنها دفاع المستميت ، ثم تظلمك لعلمائها بعبارات جعلتني أتخيل أننا صرنا فى عصر صار فيه الشرق رب الصولة والدولة وكان الغرب على عكس ذلك ، وكأنك قمت محتسباً تستعطف العالم لانصاف الغرب الضعيف المظلوم من بنى الشرق وعنت الشباب

وماذا صنعنا سوى أننا أنكرنا أن يكون الفقه الاسلامى متأثراً بالقوانين الرومانية ، وأنه إذا كان بين الفقهين تشابه فليس الحكم على أن الفقه الاسلامى هو المتأثر بأولى من العكس ، فأدلة الفقه الاسلامى صريحة والمستنبطون منها وهم مؤسسو المذاهب لا يجوز أن يقال بتأثرهم بالقانون الرومانى إذ لم يتصلوا بالرومان ولم يعرفوا لغتهم ونشأوا ودرجوا فى محيط إسلامى وفى ثقافة اسلامية محضة ، ومن خطل الرأى وعدم الانصاف أن يقال لمجرد وجود التشابه بين الفقهين إن الفقه الاسلامى هو المتأثر أو الآخذ مع فقد الدليل وتوفر القرائن على ضده ، ولم لا يقول زاعمو التأثر إن هذا التشابه وليد المصادفة ؟ إذ أن الدين الاسلامى أتى فى أحكامه بما يوافق العقل السليم من العدل والانصاف ، وهو دين حسّن الحسن وقبّح القبيح ، فما أمرنا بأمر فقال العقل السليم ليته نهى عنه ، ولا نهى عن أمر فقال العقل السليم ليته أمر به ، هكذا وصفه بعض الصحابة ، وعن هذا نشأ الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة فى مسئلة الوجوب بالعقل أو بالشرع والقول بالتحسين والتقبيح العقليين ؟ فلا يبعد أن تكون العقول التى عنيت بوضع القوانين لتحديد الحقوق وفصل الخصومات ، قد صادفت بعض ما قرره الفقه الاسلامى الملازم لمطابقة العقل فى قضائه وأحكامه ، وقد نقلنا حكاية اختفاء القوانين الرومانية وزعم ظهورها بعد ، وأن تاريخ ظهورها بزعمهم كان بعد تأسيس المذاهب وانصرام عصر

أثمنها ومن المستحيل تأثرهم بشيء لما يظهر بعدُ من اختفائه ، وإذا كنا رجحنا أن القوانين الرومانية هي الآخذة عن الفقه الاسلامي فلم نقل ذلك اعتباطاً ولكن ببراهين نعتقدها كافية في ذلك ، وأخذُ أوربا عن علوم العرب غير مجهول كما تكرره المجلات العلمية عند كل مناسبة

القول باختفاء القوانين الرومانية ثم ظهورها

أما القول بأن القوانين الرومانيـة قد اختفت ودرست ثم ظهرت فجأة ؛ فلسنا نحن منتحليه وإنما قاله علماء غربيون ، فقد حكى جيبون أن هذه القوانين — أي قوانين الاثنتي عشرة لوحة — بقيت الى زمان جوستنيان ثم فقدت ، ونقل العلامة موسهيم الجرمني في تاريخ الكنيسة في حوادث القرن الثاني عشر في العدد ٥ من الفصل الأول من القسم الثاني من الكتاب الثالث : إن الملك لوثاريوس اكتشف في افتتاح أمثلني سنة ١١٣٧ نسخة مجموع الشريعة الشهيرة التي كانت مجهولة على أجيال كثيرة ، فأتى بها الملك الآن الى مدينة بيزا ... الخ

ولا شك أن القوانين المعمول بها قبل ظهور هذه القوانين كانت مغايرة لها أيَّ مغايرة كما سيأتي . وأول من ابتدع هذه الحكاية أي حكاية اختفائها واكتشافها هو لود فيكوس سنة ١٥٠١ م ، ثم راجت هذه الحكاية وانتشرت في القرون الوسطى الى الآن (انظر جيبون جزء ٤ صفحة ٥٥٥) ، وقال اللورد ماكنزي في كتابه على القانون الروماني صحيفة ٦ إن هذا القانون (يعني قانون الاثنتي عشرة لوحة) لم يصل الى أيدينا وغاية معلوماتنا فيه تستند على بعض أوراق مفرقة وبعض ملاحظات تاريخية مما فقدت آثاره ... الخ

القوانين الرومانية القديمة

أما القوانين الرومانية القديمة ؛ فهـذه نماذج منها ذكرها الأستاذ عبد الجليل سمد قال : إن فقـه الرومانيين الأولين كان أشبه شيء بالفصول المضحكة (انظر تاريخ الدولة الرومانية للعلامة جيبون جزء ٤ صفحة ٥٢٧) وذلك لأن جميع معاملاتهم كانت لا تخلو من الحركات والطقوس ، وكانوا لا يفرقون بين المعاملات والأحوال الشخصية ، بل كانت الصيغة المستعملة واحدة للجميع وهي ما يسمونه : (مانسيباشيو) فاذا أراد أي إنسان إجراء أي عمل قانوني سواء كان زواجاً أو بيعاً أو وصـية أو غيره ، فعليه أن يحضر القباني ومعه الميزان ، وعليه أن يحضر الشهود الذين يشترط ألا يقل عددهم عن خمسة ، وعندئذٍ يبتدئون في عمل الطقوس المفروضة ؛ فيتلون بعض العبارات ويصنعون بعض الاشارات أو الحركات ، ثم يمسك المشتري أو الموصى اليـه أو الموهوب له قطعة من النحاس ويضرب بها في كفة الميزان ليقلد الطريقة القديمة المتبعة في وزن البدل ، ثم بعد ذلك يتفوه الطرف الثاني بجُمَل معلومة تدل على أنه قابل ومقر على هذا العمل (انظر ماين على القوانين القديمة صحيفة ٢٩٥ و ٣٠٥) فلم يكن إذن لدى الرومانيين القدماء عقود مختلفـة تتوقف على النية ، بل كان من الضروري إجراء حركات معيّنة ، فكان الخصمان في الدعوى يتكافحان أمام القاضي ، وكان المتظلم يمسك بخصمه من قفاه ويتضرع الى إخوانه أن يساعدوه ، وكان الموصى اليه لا بد وأن يخلع لباسه ويقفز ويرقص ! وكان الأب هو الحاكم والقاضي في أسرته . وجميع أفرادها داخلون في ملكه يتصرف فيهم كما يتصرف الانسان في ملكه المنقول ، فله بيعهم كالعبيد سواء كانوا نساء أو رجالاً (راجع جيبون صحيفة ٥٦٣ جزء ٤) ولم يكن حق الملكية معروفاً لديهم على النسق الذي نعرفه ، بل كان الملوك يقطعون الاقطاعات للضباط والعساكر ، وهؤلاء يجبون الخراج من أصحابها المزارعين (ماين صحيفة ٢٦٥) ، ومن أراد الزواج يذهب ويشتري زوجتـه من والدها على الصورة المتقدمة مع إحضار القباني والميزان والشهود ، ثم قال : أما قانون الاثنتي عشرة لوحة فلم يزل أصلا ثابتاً ، ثم قال : ومن يطلع على أحكام هـذا القانون يجد بعضها في غاية الشدة والقسوة كمعاملة المدين المفلس ، فانه كان يمهل ثلاثين يوماً وهو مسجون مكبل بالحديد والقيود والسلاسل التي لا يقل وزنها عن خمسة عشر رطلا ثم يعرض ثلاث مرات في السوق العمومي لاستجداء الأصحاب والأقارب ، وبعد انتهاء الثلاثين يوماً إما أن يعدم أو يصير عبداً للدائن يبيعه ويقضي دينه ، وإذا كان له جملة دائنين حق لهم أن يُجزّئوا لحمه قطعاً وينتقم كل منهم لنفسه بتقسيم بدنه هذا التقسيم الشنيع (انظر جيبون جزء ٤ صحيفة ٥٨٩ الى ٦٠٠) وكانت أحكام الرومان الجنائية قاسية للغاية ، فكانوا يلقون المذنب لافتراس

الوحوش الكاسرة فى محل يسمى : الأنفتياتر ... الخ ما ذكره

هذا بعض ما قاله العلماء الغربيون عن الفقه الرومانى القديم ومخالفته للجديد ، وهو كاف - بلا شك - فى خرق الاجماع الذى ادعيته عندهم بحضرة الأستاذ على استمرار القانون المعهود بينهم من ذلك العهد ، ولا نناقشك الآن فى أصل احتجاجك بسكوت الأوربيين عن جرح القانون الرومانى المعهود لديكم أو تلفيقه إلا بهذا ، ولا نعيد لك ما قاله العلامة ابن تيمية ، ولا أبو الوليد ابن خيره ؛ فقد يكون كل كلام لا يروج لديكم إلا إذا كان عليه الطابع الأوربى ، فذاك عند البعض قضاء لا يرد قائله ، غير أننا سنمهلكم وننتظر حتى يأتى يوم تصيح بكم فيه أوربا الحبيبة : أن أصلحوا معلوماتكم ، وغيروا مذكراتكم ، فعند ذلك تخفون لصوتها قائلين : غطى هواك وما ألقى على بصرى !

سقوط قياس القانون الرومانى بالقرآن

قلت أيها الأستاذ فى الصفحة ١٢١٦ من الرسالة : (إن البينات تختلف بحسب الأمور المراد اثباتها ، فاذا كانت هذه الأمور غير مدوّنة بنفسها كالحديث الشريف فلا بد حينئذ من ذكر الأسانيد وسرد الروايات ، أما إذا كان المراد اثباته مدوناً بنفسه لم يعد مجال حينئذ إلى الأخذ بطريق الرواية والاسناد ، وصار لابد من التدليل عليه بنسخه الأصلية ، التى وضع بها ، أو بالنسخة التى أخذت من هذه ، فالقرآن الكريم مثلاً لما كان قد دون فى العهد الذى نزل فيه وجمعت صحفه المدونة فى عهد الخليفة الأول ، وانتقلت الينا نسخ مخطوطة منه كتبت فى عهد قريب من عهد نزوله ، لم يلجأ إلى الرواية لاثبات صحته ؛ وكذلك أيضاً شأن الشرع الرومانى الخ) وقلت فى صفحة ١٢١٥ : (لئن جاز فى نظرنا لأحد من النصارى أو اليهود المتعصبين أن يجزم بأن القرآن الذى بأيدينا هو غير القرآن الذى أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأنه مختلق من جماعة من علماء المسلمين الحديثين ، مكتفياً للتدليل على ذلك بأن يقول لنا : هاتوا دليلكم ، فقد حق كذلك لصاحبى المقالين المتحمسين أن يزعما ما زعماه)

فما أغناك أيها الأستاذ عن قياس القانون الرومانى بالقرآن الكريم ؛ وزعمك أن الاستناد فى اثبات كونه هو المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما هى نسخه المخطوطة القديمة الموجودة ، لا روايته الصحيحة ، فحينئذ هو عندك فى نسبته إلى الشارع (ص) كنسبة القانون الرومانى المعروف إلى جوستنيان ؛ وهذا تقرير لا أعلم مسلماً قاله قبلك أيها الأستاذ الفاضل ، فالعمدة فى اثبات القرآن الكريم ليست نسخه المخطوطة فحسب ، بل المقرر حتى عند تلاميذ المدارس الابتدائية أن العمدة فى اثبات القرآن الكريم إنما هو التواتر ، والتواتر أقوى الأسانيد ، وقد تلقاه الجيل عن الجيل ؛ ورواه الخلف عن السلف بالتواتر فى كل عصر من عهد نزوله إلى اليوم ، ولم يقل أحد بأن العمدة فى ثبات القرآن إنما هى نسخه المخطوطة القديمة فقط . وكيف يقاس القانون الرومانى الذى لا يعلمه إلا الأفراد من المتعلمين بكتاب يتلى فى كل مسجد وزاوية ، بل فى كل بيت فى بلاد الاسلام ، وفرض على كل فرد من المسلمين تلاوة شىء منه فى كل يوم خمس مرات ، ذلك بعد أن حفظه الجم الغفير عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى عصره ، حتى ثبت أنه قتل فى يوم اليمامة فقط سبعون قارئاً ، ورووه الألوف عن الألوف من ذلك العصر ، وهكذا دواليك إلى اليوم ، ولا يبلغ الطفل المسلم سن التمييز إلا ويوجه لتعلم القرآن الكريم قبل دراسته لأى شىء كان

أين يكون قانون لا يعرفه إلا الأفراد من المتصدين لدراسة الحقوق من كتاب يدرسه العابد فى محرابه ، والتاجر فى سوقه ، والزارع فى ريفه ؛ ويشترك فى تلاوته الشريف والوضيع ، والذكر والأنثى من الطفل الصغير إلى الشيخ الكبير ، حتى أننا لو فرضنا أن المدنية العصرية قد عمت العالم وتخللت أوساطه الرفيعة والمنحطة ، وأريد أن يتلى القرآن بالمذياع على كل ذى مصحف لا نفتحت عند سماعه مائة مليون مصحف فى شرق الأرض وغربها ، ولو أخطأ القارئ فى تلاوته لرد عليه عند ذلك فوق ثلثمائة مليون صوت من أنحاء الدنيا ! . . . .

هل يقاس هذا إلى ذاك إلا إذا قيست الذبالة بالنزالة ؟

وقلت : (أما التناقضات التى وقع فيها ... صالح العلوى ... فأشير منها إلى ما جاء فى السطر الثانى من الجانب الأول من الصفحة الـ ٧٨١ من الرسالة ، فبعد أن قال : (إن الفقه الرومانى اختفى ثم اكتشف ولم يظهر ولم يعمل به إلا فى القرن الثانى عشر وأنه لم يكن معروفاً حتى عند الرومان أنفسهم قبل القرن الحادى

عشر) وقال فى السطر ٢٢ من الصفحة نفسها (إن دعوى اختفائه أكذوبة) ثم ما لبث أن استند إلى قول العلامة سافنيه : (إن القوانين الرومانية لم تختف لأنها ظلت معمولاً بها إلى اليوم من غير انقطاع) الخ

ومحصل ما نسبته إلىّ أيها الأستاذ أننى أؤيد دعوى اختفاء القوانين ثم اكتشافها ثم أدعى أنها لم تختف بل بقيت معمولاً بها وأستند لذلك بقول سافنيه :

هكذا شاء قلمك يا أستاذ الحقوق أن يصنع ، وهكذا أراد أن يمسخ الحق ليصوره باطلاً فيقطع من عباراتى ما شاء ويصل ، ولا يتورّع من أن يبلع بعض الكلمات بلعاً ؛ ذلك ليبنى مما قلته تناقضاً

وانظروا أيها القراء ثم احكموا ، أما ما قلته فى السطر الثانى من الصفحة ٧٨١ ؛ فهذا نصه بالحرف : (ثم إن الفقه الرومانى — على زعم أنه اختفى ثم اكتشف — لم يظهر ولم يعمل به إلا فى القرن الثانى عشر أو الثالث عشر بعد الميلاد ، أما قبل الحادى عشر فانه لم يكن معروفاً حتى عند الرومان أنفسهم ، ولا شك أن الفقه الاسلامى قد قرر وصنف الخ) فقلت هنا على زعم أنه اكتشف الخ ، لأبين أن تأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى غير معقول حتى على زعم أن الفقه الرومانى الموجود هو القديم نفسه وأنه اختفى ثم اكتشف لأنه على هذا الزعم لم يظهر بزعمهم إلا بعد الحادى عشر وقد وُجد فقهاء الاسلام وألفوا وصنفوا قبل ذلك بزمن طويل وهناك قلتُ : وما قيمة زعم تأثر الفقهاء بالقوانين الرومانية إذا كان مصنفو الفقهاء وأئمتهم ومنهم : مالك والشافعى وأحمد وأبو حنيفة والثورى والأوزاعى الخ . درسوا وألفوا وصنفوا قبل أن توجد أو تعرف القوانين الرومانية للرومان أنفسهم . أليست هذه مهزلة مضحكة ؟

فهل سوغ لك هذا أيها الأستاذ أن تنسب إلىّ من هذا أننى أقول باختفاء الفقه الرومانى ثم ظهوره ؟

وقلت إننى قلت فى السطر ٢٢ من الصفحة نفسها (إن دعوى اختفائه أكذوبة) وجعلتها بين قوسين ، وهذا يفهم أنها بالحرف ، وأصلها بالنص : (إن دعوى اختفاء الفقه الرومانى ثم ظهوره بعد ستة قرون أكذوبة لا مرية فيها ، وقد كان الفقه الرومانى معروفاً وهو أشبه شىء بالفصول المضحكة) ، ولكن قلمك يا أستاذ الحقوق أدى منها هذه الكلمات الثلاث أو الأربع وذهبت الكلمات الباقية ضحية فى سبيل خلق التناقض الموهوم !

وأما العبارة الأخيرة فلم تذكر سطرها ولا جانبها ، وقد يكون ذلك لكونها تبعد عما قبلها بأسطر والغرض إيهام القراء وجود التناقض فى عبارة متصلة وقد ذكرتها أعنى العبارة الأخيرة بنصها ولك الشكر ، غير إنك اختزلتها اختزالاً كى تجعلنى أمام القراء ملزماً بها بزعمك بالاعتراف بأن الفقه الرومانى الحديث هو القديم ، والعبارة (ثم إن حكاية اختفائها وبروزها فى القرن الحادى عشر لم يقل بها غير هولود فيكوس سنة ١٥٠١ م ثم راجت . أنظر جيبون ٤ صفحة ٥٥٥ ، وقد اعتبرها بعض العلماء إذ ذاك غير حقيقة فقد قال القانونى الشهير سافنيه إن القوانين الرومانية لم تختف لأنها ظلت معمولاً بها إلى اليوم من غير انقطاع . اهـ ، ويعنى بها القوانين القديمة المقدم ذكرها) هذه عبارتى حرفياً ، وبهذا وذاك ينكشف للقارىء الكريم أننى لم أقل إن الفقه الرومانى اختفى ثم اكتشف إلا وأنا مبين بأن ذلك زعمٌ ، وقلت إن للرومان قانوناً معروفاً كله همجية وقسوة ، وهو الذى لم يختف وهو المعنىُّ بقولة سافنيه ، وكلامى صريح فى ذلك وبهذا يتضح ألا تناقض وإن كان فانما هو فى مخيلة الكاتب الأديب !

يا هبنا العصبية والعاطفة القومية !

وتقول أيها الأستاذ : فأولى بشبابنا ألا يكونوا أسرى عواطفهم من تعصّب للدين ثم تقول : (إن فى دعاواهم مايضر بالاسلام ويسيء بثقافته الظنون)

فيا عجباً لك أيها الأستاذ أدفاعنا عن الاسلام بالبرهان والمنطق يضر بالاسلام وتعصبنا لديننا يسيء بثقافتنا الظنون ؟ هكذا تعصبنا نحن فقط يضرُّ بديننا ؟ لماذا يضر التعصب (على فرض وجوده) بنا وبديننا ولم يضر بأوربا ولا بدينها وقد ضربت فيه الرقم القياسى وبلغت النهاية ؟ ألم تتقول أوربا على الاسلام بما ليس فيه وتقذف أهله بما يندى له جبين الشرف ، وترمى نبينا العربى صلى الله عليه وآله وسلم بفرى تصرخ منها الحقيقة ويضج لها التاريخ ؟ فعلت ذلك ولا تزال تفعل إلى اليوم . فهل أضرَّ بها لديكم فتيلاً ؟ لقد أشبع الأوربيون ديننا زوراً وأوسعوا تاريخنا مسخاً وتشويها مما لو جمعنا بازائه كل ماقاله متعصبو المسلمين فيهم لما كانت نسبته اليه إلا كنسبة التأفيف إلى حرب البسوس ؛ وهاهم أولاء يملأون الدنيا تبشيراً بدينهم ، ودعاية لهم غير آبهين عند ذلك بأن

يسفهوا الأديان ويكيلوا أنواع الأفك على مشرّعيها . فهل أضر ذلك أيها الأستاذ بمسيحيتهم ؟ وهل أساء بثقافتهم لدينكم الظنون ؟ أو هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

أما إذا قنا لندافع عن ديننا بالتي هي أحسن ونظهر فضل تشريعه على العالم ببراهين كافية وأدلة وافية متذرعين بأقوال بعض الأوربيين أنفسهم غير قاذفين لأحد ولا متهجمين على أحد قلنا إننا متعصبون نسرف في القول على علماء أوربا الذين لا يمكن أن يزوروا ، وأنهم وضعوا الحقيقة في أعلى المنازل وجعلوها فوق كل شيء لأن فلاناً ألف كتاباً عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفلاناً قال كلمات تعتبر ثناء على الاسلام ، والآخر مدح فلاناً المؤرخ العربي وقال إنه من سلف علمائنا ، فأولئك قوم رضي الله عنهم ورضوا عنه ، فاصمتوا فان يقولوا إلا حقاً ، ولن يخبروا إلا صدقاً . ومعنى هذا أغلقوا أبواب البحث عن أوربا وتلقوا كل ما تلقيه عليكم بالتسليم . هكذا احتججتم وبهذا قضيتم ؟ فما لكم كيف تحكمون ؟

أما العصبية أيها الأستاذ فما أعظم رزء قومنا بفقدها . وأما العاطفة القومية فما أحوج أمتنا إلى الشعور بها فاننا الآن في زمان لا ملاذ فيه إلا للقوة ولا صولة فيه إلا للعصبية . فنحن في عهد تنشد فيه العصبية وتحمد فيه العاطفة الدينية ، ومن لا يتعصب لدينه لا يتعصب لقومه ولا وطنه ؛ وهل تلتمس القومية عند من لا عصبية له إلا كما تلتمس عند الديوث خلال الشرف . إنني أنصحكم أيها الشباب عن هذا الضعف وأحذركم عن هذا التلاشي والاندماج في أوربا ، إنكم في حاجة لغير هذا

فيا شباب العرب ! كونوا في عصبيتكم لدينكم ناراً تتلهب ، وكونوا في عواطفكم أعاصير تلوى بكل ماهو أمامها من باطل وبغي . وكونوا في مبادئكم جبالاً لا تعبأ بالزلازل ولا تحركها هوج المواصف

إن المجد والحرية يدعوانكم من وراء القرون أن تتقدموا إلى الأمام . فتجهزوا يا أبناء جنود الفتوح وسلالة فوارس بدر . فحيا الله عصبية العروبة وعاطفة الاسلام ، وسلام على صدور امتلأت أحناؤها بنور الاسلام ، وفي سبيل الله نفوس للآباء أزهقت طعناً بالرماح وقعصاً بالسيوف ضحايا على أعتاب الاسلام !

سنغافورة — صالح به علي الطاهر العلوي

المصيف ...

للأستاذ محمود خيرت

خلا الربعُ في الصيف من ربّه ... فهلاَّ خلا الدمعُ من غَربه

وكم ضاق ربعٌ بسُكانه ... فولّوا فراراً على رَحبه

وحَسْبهمُ القيظ عذراً فمَن ... يُؤاوي الجحيمَ إلى جَنبه

ترى الناس في زُمَرٍ يركُضون ... منازيحَ كالطير في سِربه

إذا سعّر الحرُّ رطْبَ النسيم ... تنقّلَ يبحثُ عَن رَطبه

وليس السَّفارُ ووعثاؤه ... بصارفِه عن جَنى طلبه

ومنها تمرّرَ طعْمُ الدواء ... فإنّ السلامة في شربه

* * *

وأما المصيف فمن ذا الذي ... تعلّلَ منه ولم يُصبه

هناكَ الطَّبيعةُ فتّانةٌ ... ترفُّ من الحسن في ثوبه

هناك الجمال وسُلطانه ... هناك الهوى بأساليبه

إذا ما الغواني رمى لحظهنّ ... شربتَ الدموعَ على نخْبه

وهَمّ الخليُّ ثقيلَ الهموم ... يُسِرُّ إلى جاره ما به

وقد سبقَتْ وعْيَهُ كفُّهُ ... إلى موضع الجُرح من قَلبه

وتخطرُ في الشّطّ أغصانُهنّ ... دلالاً فيُوغِلُ في عُجبه

وعُجْبُ المليحات من دأبهنّ ... وما كان للشطّ من دأبه

* * *

ويَجلِسن تحتَ مظلاّتهنّ ... نَشاوى وكلٌّ إلى صَحبه

يطوف الحديث بأرجائهنّ ... ألذَّ مِنَ الصفو في ذَوْبه

إذا حل أُذْنَ نَزيلِ الشباب ... نواهُ وزعزع مِن لُبّه

وإن حلّ أُذْن نزيل المشيب ... أعاد الشّباب إلى شَيْبه

ويسمعُه الطير في روضه ... فيهتزُّ سُكراً على قضبه

ويجرى النّسيمُ به عاصِراً ... فيَفزُو الأنوفَ شَذا طيبه

* * *

ومنهنّ مَن راقها في العُباب ... زئير الضّراغم مِن صَخْبه